

جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الأستاذ : عمر بوصبيح

المادة : المراكز الحضارية في الشرق الأدنى القديم – المحاضرة الرابعة-

المستوى: السنة الأولى ماستر

التخصص : تاريخ الحضارات القديمة

السنة الجامعية: 2022/2021

السادسي : الثاني

3- المظهر العسكري في بلاد سومر:

يظهر لنا اللوح الموجود بمتحف اللوفر والذي يعود إلى منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد مناظر تاريخية ودينية مخددة لذكرى معركة انتصر فيها أناتم "Eannatum" ملك لجش على مدينة أوما وقد عكس لنا اللوح فكرة واضحة عن تلك الواقعة، إذ نقشت المشاهد على وجهي اللوحة، فعلى أحد الوجوه مآثر المحاربين وعلى الآخر تدخل الآلهة.

وقد ظهر أهل لجش على اللوحة وهم يحملون دروعا من جلد ومجهزين بحراب وكان الملك واقفا على رأس وحداته وهو يلف جسده بجلد سميك، ويبدو من خلال النقش أنه كان منتصرا، أما أعداؤه فقد صوروا والنسور تنهش أجسادهم أو جثثهم، وفي الصف الثاني تسير فرق المشاة ذواتي الصدور العارية وقد حملوا حرابهم فوق أكتافهم وأمامهم الملك، وقد مثل في هذا المشهد فوق مركبته الحربية مرتديا رداء من جلد سميك، ملوحا بسلاحه وممسكا حربا بيده اليسرى وسيف قصير باليمنى، كما لو كانت المعركة مستمرة.. أما خوذته المصنوعة من الجلد فقد قويت من الخلف بشعر مستعار ذلك لزيادة حماية قفا الرقبة.

ويظهر لنا انتصار لجش من خلال قيامهم بإحصاء موتاهم في ميدان المعركة وذلك بغرض تجهيز مكان مناسب لهم لدفنهم، وقد جمعت الجثث في كومة وغطيت بالتراب وذلك بعد القيام بالمراسيم الجنائزية المتعارف عليها عندهم، أما آخر المناظر التي أظهرها اللوح هو منظر

الأسرى وقد جيء بهم إلى المعتقل، ويبدو أن الجزء السفلي في هذا المنظر قد أتلّف ولم يبق منها سوى بعض رؤوس الأسرى.

كما شوهد مرسوما على بعض العناصر الأثرية في متحف بريطانيا مناظر حرب صورت من خلالها عربة أربع مرات في مشاهد مختلفة، بدأت هادئة ثم أسرعت ثم زادت سرعتها، وهنا ولأول مرة في تاريخ الفنون والحروب نرى العربات الحربية تصور أخبار المعارك، وقد بدأت العربات في تطهير الطريق للجيش (كما تقوم المصفحات في الحروب الحديثة)، ثم تلاها المشاة وتقدم الجنود ببطء، وقد وضعوا خوذات فوق رؤوسهم وملابس من جلد سميك، ولم يبق أمامهم إلا أن يحيطوا بالأعداء ويحضرهم إلى الملك الذي نزل من عربته في انتظار قدومهم، وبهذا انتهت المعركة ثم جاء دور الاحتفال بالنصر، فجاء حملة غنائم الحرب ومعهم الحيوانات وكل ما كان يجب أن ينظم في الحفلة، وظهر الملك وقد خلع رداء الحرب وبدأ يتناول بعض المشروبات مع زواره (جميعهم من الرجال) الذين جلسوا في مواجهة الملك يسمعون إلى غناء سيده صاحبها حامل القيثارة.

4- المظهر الاقتصادي في المدن السومرية:

أ- الزراعة:

إذا كانت المدينة قد شكلت في العهد السومري الوحدة السياسية للبلاد، فإن المعبد كان يشكل الوحدة الاقتصادية لها، فلكل معبد أرض هي أملاك الآلهة، وكل مواطن تابع لمعبد من المعابد وجميع العاملين في المعبد من كهنة وخدم وعبيد وموظفين هم عبّادُ صاحب هذا المعبد وهو نواة مجتمع المدينة.

لقد قام المجتمع المعبدي على العناية بأرض المعبد المشاعة أو المشتركة (Nigenna) وكانت لا تتجاوز ربع أرضه وذلك لصالح المجموع، وكذلك يوجد قسم ثان من الأرض يسمى الأرض المقطعة (Kur) وهو يشمل الأرض المأجورة (Ura-lal) وهي الأرض التي تؤجر بأجزاء كان على المستأجر أن يدفع ما يتراوح بين ثلث المحصول وسدسه.

كان المعبد يقوم بتوزيع البذار الحب والحيوانات والأدوات اللازمة للأرض المشتركة، وعمل الناس غنيهم وفقيرهم في أرض الإله ويقوم المعبد بتوزيع الحبوب أيضا على المحتاجين، فيوزع الحبوب والصوف على المواطنين الذين أدوا عملا للمعبد أو الأرض، كما كانت هناك حصص توزع على شكل مكافآت أيام الأعياد وذلك من أنصبتهم.

وقد لوحظ في المجتمع الرافدي القديم حقيقة دلت على تقدم هذا المجتمع وهي مبدأ المساواة، وقد كان كل فرد يتناول حصيلة عمله المشترك وقطعة أرض لتأمين حياته، وعمل الناس جميعاً في الأرض المشتركة وفي القنوات وبناء السدود، ولم نلاحظ وجود طبقة من الناس بدون عمل. كان هناك عبيد من الأسرى عملوا في المعبد إلى جانب الأحرار وعرفت ملكية العبيد للأفراد، أما الجوارى من البنات فقد عملن كخادمات أو حائكات.

لقد اختلفت ملكية الأرض من حيث المساحة، ولكنها لم تكن مساحات كبيرة وهناك بعض الاستثناءات، فهذا معاون أحد المعابد يملك حوالي 120 فدانا (1 فدان = 420 م²) وهذا مراقب مخزن خشب كان يملك حوالي 8 فدانا، ومثل هذه الحالة هي في الواقع كانت من الأمور غير المألوفة في نظام هذا المجتمع، وهناك حقيقة يجب أن نسجلها هنا وهي أن قطعة الأرض التي أطلق عليها اسم "Gan" كانت لا تتجاوز بضعة أثمان الفدان، كانت كافية في الواقع لسد حاجات الفرد، وكان للمرأة حق امتلاك الأرض مما يدل على أن النساء خدمن أيضاً في المجتمع المعبدي لأن القاعدة الأساسية أن الشخص يكسب عيشه نتيجة خبرته لخدمة المجتمع.

كانت مخازن المعبد هي عبارة عن مجمعات تضم جميع ما يحتاجه المجتمع من مواد تموينية يستهلكها، فيها حبوب وبصل وخضروات وبلح وسمك ودهن وصوف وجلود وخشب لازم للبناء وأسفلت وحجارة ثمينة كالرخام لصناعة التماثيل، وكان هناك جهاز للمراقبة وعمليات التخزين والتسجيل، وكان يوجد صناع بعضهم يهيئ الصوف، وآخرون يقومون بغزله وقاموا أحياناً بتصدير الصوف، وبالنسبة للشعير هو الموسم الأساسي كانت هناك مخصصات شهرية لصناعة الجعة، وقد قلت الماشية بأرض سومر وذلك لقلة المراعي لأن صيف العراق شمس قوي تحرق العشب، لذلك كانت تطعم الأغنام بالحَب في كثير من فصول السنة ما عدا الربيع.

كان طعام السومريين الزلالي هو السمك لا اللحم وكانت لديهم أغنام وماعز لحلبها والإفادة من صوفها وشعرها، واستخدمت الثيران والحمير في الحرث وربوا الخنازير وزرعوا النخيل والكرام والتين والرمان والتوت وقيل أنهم قاموا بزراعة شجرة التفاح.

ب - الصناعة:

استخدمت المعادن في الألف الثالث قبل الميلاد، مثل النحاس والبرونز والفضة والألكتروم (مزيج من الذهب والفضة لا تقل نسبة الفضة فيه عن 2 بالمائة) قد يكون طبيعياً وقد يكون مصنوعاً، والذهب لصناعة أشياء مختلفة، ويحتفظ متحف اللوفر بتمثال من البرونز يعود للنصف الأول للألف الثالث قبل الميلاد عثر عليه في ناحية **خفاجي**، وقد كشف في تل أجرب عن

عربة يجرها أربعة حيوانات محفوظة بمتحف بغداد، ولو أن ارتفاعها لا يزيد عن ثلاث بوصات (1 بوصة = 2.54 سم) إلا أنها الأثر الفريد من نوعه الذي يمثل أول وسيلة من وسائل النقل في العصور القديمة.

وأما الحيوانات فليست خيولا وإنما في الغالب حُمُرٌ مستأنسة أو وحشية، وقد سندت الحمر إلى جوار بعضها، وقد ربط الحيوان الوسيطان بواسطة ناف ثبت برقبتهما، وقد مرت أعنة الحيوانات في حلقة ربطت في الشفة العليا كالحيوانات الأربعة، أما السائق فقد كان له لحية وشعر طويل، وقد قبض في يده اليسرى على الأعنة، ويده اليمنى ليس فيها شيء، وغالبا كان بها سوط أو عصا ولكن فقد، وطالما أنه لم يعثر على شيء يحمي السائق، فلا يمكن أن نتصور أن هذه العربة تمثل نموذجا لعربة حرب مثل ذلك الذي رأينا على عربة النسور، ويميل بعض العلماء إلى اعتبار مثل ذلك النموذج من العربات هو الذي كان يستخدم في الرحلات فوق صحراء الاستبس، فعجلات العربة قوية وكانت مكونة من الخشب وقد قويت بصفائح معدنية لتحمي الخشب.

وعثر في جبانة أور الملكية على أواني من ذهب ورأس وعجل من ذهب أيضا محفوظ بمتحف الجامعة في بنسلفانيا وخوذة من ذهب في متحف بغداد إلى غير ذلك من الآثار الذهبية والبرونزية التي تدل على مهارة السومريين.

كان لأصحاب المهن الحق في استخدام مهاراتهم نظير عمولة يتقاضونها لأنفسهم وكان للراعي حق التصرف في جزء من قطيعه، وكان للصيد حق التصرف فيما تبقى من نصيبه الشهري المالم إلى المعبد.

ج- التجارة:

كان التجار يحصلون على الذهب والفضة والنحاس والرصاص والخشب والروائح العطرية والحجارة للمعبد نظير تقديمهم حبوبا وبلحا ومنسوجات من أقمشة صوفية إلى ستائر من سجاد، وكانوا يستبدلون البضائع المصنوعة من المدن المحلية بمنتجات مدن أخرى غير متوفرة فيها هذه المواد أو يذهبون إلى أقطار أخرى كعيلام، وكانوا يستخدمون حمير المعبد في الأسفار وقد عثر في مقابر هذا العصر على أقذاح رصاصية وأواني فخارية حجرية وفي **خفاجة** عثر على أواني نحاسية مختلفة الأشكال والأحجام وفي **كيش** و **أور** على ألربع مرايا نحاسية ومجموعات زينة نحاسية وذهبية وعقود وتمائيل وحيوانات صغيرة من رخام كانت تعلق في العنق كتميمة وغير ذلك من آثار أخرى.

6- المظهر الديني:

كانت الآلهة هم أسياد المدن وقد نظمت حياة المجتمع في كل مدينة حسب تقويم يلائم تطوره، وكانت هناك أعياد متكررة يتوقف فيها العمل، فكثيرا ما كان يحتفل بأحداث الطبيعة، وظلت طبيعة الاحتفالات دينية حتى أيام الأشوريين، وفي العهد البابلي الثاني وجدت رابطة بين هذه الاحتفالات والطبيعة، ولا نستطيع أن نعرف الأسباب التي دعت إليها من الآلهة التي تمثل الطبيعة ارتباطه بمدينة من المدن، لقد برز في المدينة إله معين، ولكن عبت بجواره آلهة أخرى صغرى.

كان السومريون يعتقدون أن الإنسان خلق لخدمة الآلهة وهكذا في الديانات السماوية مثل الإسلام الذي جاء في كتابه ما يفيد أن الله ما خلق الجن والانس إلا ليعبدوه. لقد جاء في بعض الأساطير السومرية أن إنليل شق الأرض فخرج منها النبات، ثم تذكر الأسطورة أن الآلهة قد أحاطت بإنليل ورَجَّتُهُ في تخصيص خدم لها من السومريين.